التجديد في الفكر الاسلامي في مواجهة التطرف

أ.د أمـــل هنـــدي الخزعـــلي*

جامعة بـغـداد/ كلية العلوم السياسية- العراق
amilhindy70@gmail.com

ملخص :

ان الاهتمام الواضح بموضوع تجديد الفكر الديني خلال العقود الماضية يعكس اتفاق معظم المهتمين بالدراسات الاسلامية على اهمية هذا الموضوع، وضرورة اعادة النظر المستمرة في مضامين الفكر الاسلامي وصيغه، بهدف تجديدها وتفعيل العناصر الساكنة فيه لكي يكون الفكر مواكباً لحركة المجتمع وخياراته الثقافية فالتجديد لم يعد ترفاً فكرياً بل هو حاجة ضرورية وامراً حتمياً يؤكد انتماء الانسان لعصره وتأثره بما يجري حوله، لاسيما وانه الكفيل بتوفير ظروف الاستمرارية للفكر لكي يؤدي دوره في التوعية والتنوير واحياء التواصل بين الفكر والمجتمع.

ان تلك الضرورة تحتمها مسائل عدة منها، الواقع المتغير والحوادث المستجدة، وسرعة التطور التي تشهدها المجتمعات كافة بشكل يومي. فالتطورات والمتغيرات المتلاحقة وما يرافقها من مستجدات حياتية فرضت على الفكر الاسلامي تجاوز حالة الانحسار والتراجع التي عاشها خلال الحقب الماضية وحتمت عليه تكثيف انشغالاته وتوسيعها وتجديد منهجياته ومراجعتها لاستيعاب المستجدات المعاصرة.

هذا فضلاً عن الادراك المتزايد بأن التجديد يعد فعلاً حضارياً ومحفزاً على المواكبة والاستمرار في كافة المجالات ولاينحصر او يقصر على الحقل الفكري وحده، بل يتعداه الى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بعده مشروعاً حضارياً في حياة الامة والمجتمع. وبذلك فقد شكل تنامي الادراك بروح العصر والانفتاح على قضاياه ارضيات التوجهات التجديدية وذلك لتجاوز القطيعة المعرفية مع العصر ولكي يكون فاعلا في الحياة المعاصرة بعده الوسيلة للانطلاق اي الانفتاح والتواصل بالحاضر والمستقبل.

كلمات مفتاحية : التطرف، الفكر الاسلامي، التجديد.

Renewal in Islamic Thought in the Face of Extremism

Prof .Amal Hindi Khazali
University of Baghdad /College of Political Science

ABSTRACT

The clear interest in the issue of renewing religious thought during the past decades reflects the agreement of most of those interested in Islamic studies on the importance of this topic, and the need to constantly reconsider the contents and formulas of Islamic thought, with the aim of renewing them and activating the static elements in it so that thought keeps pace with the movement of society and its cultural choices. Renewal is no longer an intellectual luxury; rather, it is a necessary and inevitable need that confirms man's belonging to his time and being affected by what is happening around him, especially since it is the guarantee to provide the conditions for continuity of thought in order to play its role in awareness and enlightenment and reviving communication between thought and society.

This necessity is necessitated by several issues, including the changing reality, new incidents, and the speed of development that all societies witness on a daily basis. The successive developments and changes, and the accompanying developments in life, imposed on Islamic thought to overcome the state of decline and the decline that it experienced during the past eras and necessitated it to intensify and expand its preoccupations, renewing its methodologies and review them to accommodate contemporary developments.

This is in addition to the growing realization that renewal is a civilized act and a catalyst for keeping pace and continuity in all fields and is not limited to the intellectual field alone, but extends to the economic, social and

political fields after it as a civilized project in the life of the nation and society. Thus, the growing awareness of the spirit of age and openness to its issues formed the grounds for the renewal trends, in order to overcome the estrangement of knowledge with the times and to be active in contemporary life after it, the means to launch, i.e. openness and communication with the present and the future.

KEYWORDS: extremism, Islamic thought, renewal.

المقدمـــة

مع ظهور الجماعات الدينية المتطرفة ونشاطها الارهابي ترسخت القناعة بالتجديد وضرورته الملحة في هذه المرحلة لكون وسيلة فاعلة لردع تلك الجماعات وتفنيد ادعاءاتها وترسيخ الاعتدال في الدين فكراً وعملاً وشهد العالم العربي والاسلامي عقد مؤتمرات واجراء نقاشات واسعة لمواجهة التطرف ومعالجة اسبابه سواء الفكرية او السياسية او الاقتصادية، واكدت تلك النشاطات العلمية على اهمية تجديد الخطاب الاسلامي ومراجعة البنى الفكرية التي استند اليها .

ان هذا الاتفاق على ضرورة التجديد في الفكر الاسلامي، قد يوحي بوجود رؤية محددة للتفاصيل التي يتضمنها هذا المشروع الحيوي، غير ان متابعة الكتابات الاسلامية المتعددة والاراء المطروحة على الساحة الفكرية حول الموضوع سرعان ما تقود الى قناعة بتعدد الرؤى والاختلاف الكبير حول التفاصيل والنتائج، وهذه التعددية تطال مسائل وتفاصيل عدة وترقى الى انقسام المهتمين بشأن التجديد، الى تيارات متباينة قد تعكس اختلاف مرجعياتهم ومتبنياتهم الفكرية التي تحدد مواقفهم ازاء حدود التجديد ودواعيه وتفصيلات المنهج والطريقة المثلى للتعامل مع التراث الفقهي والفكري.

ولم تقتصر الاختلافات الفكرية على المذاهب المتباينة بل امتدت لتظهر ضمن المذهب الواحد، حيث افرزت بعض المذاهب تيارات

فكرية تحمل رؤى وقناعات وطروحات مختلفة بشكل جذري حول قضايا التجديد وضوابطه وقضاياه المختلفة.

وسنحاول في هذا البحث التطرق لدواعي التجديد واشكالياته انطلاقاً من الفرضية التالية (أن الدعوة الى تجديد الفكر الاسلامي والخطاب الديني بشكل عام تتنامى بشكل واضح مع انتشار الفكر المتطرف والعمليات الارهابية غير أن تلك الدعوات سرعان ما تنحسر بانحسار تلك الظواهر وذلك نظراً للاشكاليات الكثيرة التي يواجهها التجديد)

وستكون الاشكالية الاساسية للبحث التساؤل عن الاسباب الموجبة للاختلاف حول التجديد.في ظل الاتفاق على اهميته وضرورته في المرحلة الراهنة وكونه اداة فاعلة لمواجهة الارهاب والتطرف الديني .

ولتحقيق فرضية البحث وللاجابة على الاشكالية والاسئلة المتفرعة سيتم اعتماد المنهج التحليلي للوقوف على اهم المصاعب والاشكاليات التي تواجه مهام التجديد و سيقسم البحث الى مبحثين اساسين:

المبحث الأول: دواعي التجديد في الفكر الديني.

المبحث الثاني : اشكاليات التجديد في الفكر الديني .

ويختتم البحث بأهم الخلاصات والاستنتاجات التي تم التوصل اليها.

المبحث الأول

دواعي التجـديـد فـــي الفكر الاسلامي

شهد الواقع الاسلامي منذ النصف الثاني من القرن العشرين، تغييرات وتطورات وتحديات اسهمت في تغيير رؤية الفكر الاسلامي لذاته حيث بدأت تتشكل لديه رؤية جديدة للعالم والواقع من حوله. فأدرك المعنيون بالشأن الاسلامي عظم التحولات واتساع منطقة الفراغ مع مرور الوقت في بنية الفكر والفقه الاسلامي، ومضاعفات الانقطاع الذي كان عليه عن واقع الحياة المعاصرة، وبالتالي الحاجة

الملحة لبلورة الافكار والتصورات والاجتهادات الاسلامية التي تواكب الواقع، وتستجيب له بصورة عملية وتطبيقية، وشكلت بعض التحديات صدمة كبيرة حتمت الدعوة الى التجديد وبررت ضروراته واهميته. ولعل ابرز دواعي ومبررات التجديد في الفكر والخطاب الاسلامي المعاصرين تجسدت في التالي:

اولاً: صـــلاحية الاســـلام لكـــل زمـــان ومكـــان

ان نفي التجديد عن الاسلام انما يقدح بصلاحيته لكل زمان ومكان، فقيمة الاسلام تكمن في انه آخر الرسالات السماوية، وعندما لا تستجيب الشريعة للتطور ولا تواكب ظروف المجتمع وازماته، ستؤول الى الانقراض، فالاسلام لا يفترق عن حركة الحياة ويبقى مجرد طقوس وحركات، بل ان أحد اسباب استمراريته مواكبة حركة المجتمع والواقع كسنة طبيعية من السنن الكونية، فسنة الله في الخلق والنصوص الاسلامية تؤكد على عملية التجديد والترشيد في الفكر الديني، سواء كان التجديد الهياً يشتمل على بعض اسس التفكير الديني ومعظم تفاصيله، كما في التعاقب التكاملي للرسالات السماوية والذي ينسجم مع تطور البشرية ورشدها، ام كان التجديد بشرياً يقتصر على المساحات المتحركة في الفكر الديني للرسالة السماوية[1] على اعتبار ان التجديد من نواميس الكون ولا يستطيع ان يوقفه أحد بسبب عدم وجود اجابات جاهزة لكل القضايا المستجدة والمتغيرة.

التجديد من نواميس الكون ولا يستطيع ان يوقفه أحد بسبب عدم وجود اجابات جاهزة لكل القضايا المستجدة والمتغيرة

ويستشهد أحد الباحثين بحديث للنبي (ص) ((ان الله يبعث لهذه الامة على راس كل مائة عام من يجدد لها دينها)) ليؤكد على ان التجديد سنة الهية يمارس وفقها المفكرون والفقهاء المسلمون مسؤولياتهم على المستويين النظري والعملي لمواجهة التحديات الحضارية ((ومن ثم الانطلاق لجعل الحضارة الاسلامية بديل عقائدي واقعي لانقاذ البشرية من معاناتها النفسية والفكرية والكونية))[2]

(1) سعيد بن سعيد العلوي، ادلجة الاسلام بين اهله وخصومه، (القاهرة، دار رؤية للنشر والتوزيع، 2008)، سنة65.

(2) علي المؤمن: الاسلام والتجديد: رؤى في الفكر الاسلامي المعاصر، (بيروت: دار الروضة، 2000)، سنة 26.

على ذلك فالفكر الاسلامي مطالب بفلسفة اسلامية تتحول الى مذهبية اسلامية برهانية تقوم بصياغة فكر الاجيال الجديدة، وتنقل الفكر المجرد الى حيز التنفيذ والحركة والتغيير لاخراج المسلمين من ازمتهم الحضارية التي تهددهم بالتخلف والذوبان، هذه الفلسفة يرسم ملامحها (محسن عبد الحميد) بدعوته الى معالجة فكر العصر وازماته وقضاياه بعمق ودقة وموضوعية تكشف من خلالها المنطق الحديث وحقائق الاسلام الى الكون والحياة والمجتمع والانسان، وتركز على الواقع لتحدث فيه التغيير المطلوب بمنهج عقلي واضح المعالم بعيد عن عقلية التواكل والخرافة والاسطورة والزهد الغنوصي المدمر، والتعصب والجمود الذي يحول الاعراف المتغيرة والافكار البشرية الماضية الى ((وحي الهي معصوم)) [3]

ومثلما قدر الله تعالى ان تتجدد الشرائع قديماً وجعل ذلك بموجب وحي من عنده منوط تبليغه بالرسل، قدر انه يؤول تجديد فقه الشريعة الخاتمة وامرها الى قادة التجديد، فسيرة الدين التاريخية بعد ختم النبوة تستدعي تجديداً يحيي الدين فيبعث أماني الايمان كلما ماتت ويوقظ قوى الفقه كلما خملتُ وينشط حركة العمل كلما فترت، على حد تعبير (حسن الترابي).[4] فبعد ختام الرسالة لم يعد نسخ الشريعة من خارجها وجها من وجوه التجديد بل انحصر في وجهين اثنين من داخل الشريعة نفسها، يسمى احداها احياءاً ويسمى الاخر تطويراً للدين.

ذات الفكرة يطرحها (محمد شمس الدين) عندما يشير الى ان التطور في الاسلام لا يتم عن طريق الحذف والاضافة في الاحكام والتشريعات أو مايسميه بـــ((الثوابت النسبية)) لانه لا توجد رسالة خاتمة بعد الاسلام، فالختم تحقق بارسال النبي محمد (ص) فلا مجال للتطور من الخارج او من رسالة اخرى، بل التطور يتم من الداخل بالتوالد الذاتي الداخلي عن طريق الاجتهاد[5] ((فالاسلام يتسع ويتعمق بتجدده التراثي عن طريق الأجتهاد)). [6]

واذا كان في قواعد الاسلام وخصائصه وشريعته ما يفي بحاجة

(3) محسن عبد الحميد، الفكر الاسلامي: تقويمه وتجديده، (بغداد: مكتبة الخلود، 1987) ص 57.

(4) حسن الترابي، تجديد الفكر الاسلامي: (الدار البيضاء: دار القرافي للنشر والتوزيع، 1993) .

(5) الاجتهاد يعني بذل الجهد والسعي الحر والمستقل للمجتدين والمستوفين للشرائط الذين يقومون من خلاله بأرجاع الفروع المستحدثة الى اصولها ويطبقون القوانين الكلية على المعاير الخارجية، انظر: محمد ابراهيم جناتي، الاجتهاد والتجديد في مجلة الاجتهاد والتجديد، العدد 17، 2011، ص11.

(6) محمد مهدي شمس الدين، الاجتهاد والتجديد، في الفقه الاسلامي، (بيروت: المؤسسة الدولية، 1999) ص 222.

البشرية في كل زمان ومكان من حيث ابتناؤه على ثوابت يقينية لا تستقيم الحياة الانسانية الا بدوام وجودها، كما جاء في قرار مجلس مجمع الفقه الاسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الاسلامي،[7] فان ذلك يعني بالضرورة ان الاجتهاد والتجديد يقومان بمواكبة المستجدات مع الحفاظ على الروح الاسلامية السارية في النظم التي تواكب وتستجيب لكل جديد للتاكيد على قوة الفقه الاسلامي وكونه فقه متجدد لا يقف عند زمن معين، وانما يستجيب باصوله وقواعده لتغييرات الحياة ويوجب لها الحلول الواقعية، ولذلك يساهم التجديد في ابقاء الثوابت مقدسة في وعي المسلمين لانه سيركز القناعة بقدرة الثوابت على استيعاب العصر وتلبية حاجاته، في حين ان الاصرار على الالتزام برؤى المفكرين والفقهاء السابقين، سيسلخ تلك القداسة من أذهان بعض المسلمين على اعتبار ان الثوابت لم تقدم لهم اجابات وافية على تساؤلاتهم الحالية[8]

(7) علي ابو البصل، الاجتهاد ودورة في التجديد في مجموعة من المقالات المختارة للمؤتمر الدولي الخامس عشر للوحدة الاسلامية، الجزء الاول، (طهران، المجمع العلمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية، 2003)، ص 181

الاجتهاد والتجديد يقومان بمواكبة المستجدات مع الحفاظ على الروح الاسلامية

(8) علي المؤمن، مصدر سبق ذكره، ص 28 .

على ذلك فاذا كان الاسلام يهتم بصلاح احوال الناس في دنياهم وليس دين اخره فحسب، أو دين خلاص روحي فحسب، فانه مع ذلك لا يتضمن نظاماً كاملاً نهائياً للمجتمع الانساني لانه يقرر مبدأ التطور ولايريد ان يكون عائقاً امام هذا التطور كما لايريد ان يحول دون تقدم البشر وتطورهم.

(9) حيدر حب الله، مسألة المنهج في الفكر الديني: وقفات وملاحظات، (بلا، مؤسسة الانتشار العربي، بلا) ص 262.

ويحذر احد الباحثين[9] من ان ابتعاد الفقه عن الحياه وانزوائه داخل المجالات التجريدية، سيؤدي الى ابتعاده عن الحياة ويحل محله فقة اخر كالفقة الوضعي الغربي او غيره، ومن هنا تاتي ضرورة واقعية الفقة فان يعيش طلابه وفقهاؤه هم الواقع المتدفق بقضاياه المتعددة لاسيما بعد دخول هذا الفقه مجال الحياة السياسية بكل تعقيداتها.

ثانياً: مرونة الشريعة الاسلامية

يوكد العديد من المفكرين الاسلاميين على خاصية المرونة في

الشريعة الاسلامية وانها ناشئة من اصل التشريع حيث ان الاحكام الشرعية تتناسب مع خيارات كثيرة للفرد والمجتمع في جميع مجالات الحياة ولا تقيد حركة الانسان وحريته، بهذا الصدد يستشهد احد المفكرين المعاصرين بقوله تعالى ((يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)) [10] وماروي عن النبي (ص) ((بعثت بالحنفية السمحة)) ليثبت بان الشريعة الاسلامية شريعة مرنة، وتتجلى مرونتها في قبولها لما لا يتناقض مع مبادئها وثوابتها في العقيدة من دون اعتبار لمصدره، وفي كونها تحفز على الحركة الايجابية في العالم وفي الطبيعة وعلى تقدم الانسان والمجتمع، ولا تحول دون اية خطوة باتجاه التقدم الحضاري في جميع المجالات ما دامت لا تتنافى مع المفاهيم والقيم في العقيدة والشريعة .[11]

(10)سورة البقرة، الاية 185.

الاحكام الشرعية تتناسب مع خيارات كثيرة للفرد والمجتمع في جميع مجالات الحياة ولا تقيد حركة الانسان وحريته

(11) محمد مهدي شمس الدين، مصدر سبق ذكره ص 206

اذن يأتي التجديد ليكون ضرورة افرزتها مرونة الشريعة، واستعدداها للبناء الى جنب الانسان في تحولاته الجذرية والمنعطفات التي تعتري حياته، بمعنى ان الشريعة تعبر عن توحيد بين البعد الازلي الروحي، والواقع الظرفي المادي، فكان النموذج الشرعي الاول نمطاً مثالياً أوجد واقعاً معيناً عن التنزيل من قيم الحق والعدل الخالدة، وهيأ بذلك منهج العبادة الامثل. وبمرور الوقت وتعاقب الاجيال تبدلت الظروف النفسية والثقافية والاجتماعية والمادية التي كانت قاعدة للنموذج الاول مما استدعى المعالجة عبر التجديد. وابرز مثال على مرونة الاسلام، ان الفقه الاسلامي في عصور حيويته كان ينمو ويتطور ويتسع ويتغير حتى يلائم هذا التغيير المستمر، كما كانت هناك اختلافات جوهرية بين العلماء المسلمين في قرون الاسلام الاولى انتجها اختلاف اقطارهم.

يأتي التجديد ليكون ضرورة افرزتها مرونة الشريعة، واستعدداها للبناء الى جنب الانسان في تحولاته الجذرية والمنعطفات التي تعتري حياته

والسؤال الذي يطرح في هذا المجال ماهي العوامل التي جعلت هذه الشريعة قابلة لمواجهة التطور ومواكبة التغيير والصلاحية لكل زمان ومكان؟

يتصدى احد المفكرين المعاصرين للاجابه على هذا السؤال من خلال تاكيدة على خمسة عوامل اساسية هي:[12]

1. ان الشريعة لم تنص على حكم لكل شيء فهناك اشياء نصت عليها واشياء لم تنص عليها.
2. حتى الاشياء التي نصت عليها الشريعة لم تنص عليها بطريقة تفصيلية وانما كثيراً ما يكون النص على الاحكام بطريقة كلية اجمالية وتترك التفصيل للزمن ولاجتهاد العقول.
3. صاغت الشريعة اكثر النصوص حتى التفصيلية منها، بطريقة تقبل متعدد الافهام واختلاف التفسيرات
4. ان الشارع المقدس جعل هذه الشريعة قابلة لتغير الاحكام والفتوى بتغير الزمان والمكان والحال والعرف.
5. راعت الشريعة الضرورات والحاجات والظروف الاستثنائية التي تطرأ على الحياة وتنزل بالناس.

ويبرر ذلك ايضاً لكون التشريع الاسلامي كان محتفظا بحيويته وديناميكيته قبل ان تأذن الحضارة الاسلامية بالتوقف والنضوب ثم الجمود والتحجر واغلاق باب الاجتهاد[13] وعلى هذا الاساس تم التحذير من الجمود على الوعي، أو مايسميه البعض الماضوية أو نزعة التمسك بالماضي والجمود الذي يعطل فاعلية الثابت ودوره ويؤدي الى قطع صلات الشريعة بالحياة، فنزعة التمسك بالماضي والنزعة السلفية تعنيان التمسك بوعي السلف للثابت والاصول، ويكون الوعي هنا بكل اشكاله وابعاده وليس التمسك بالاصول أو الثابت فحسب. فالعودة الى الثوابت، والتي تظل اساساً ثابتاً لشكل الحياة الاسلامية في الماضي والحاضر والمستقبل، ليست عودة بالمنظور الزمني بل بمنظور استئناف عملية الاخذ المتكامل من الثوابت.[14]

ويوشر (الترابي) مسالة مهمة في هذا المجال عندما يوكد على انه مهما كانت وجوه تصريف الاحكام الشرعية متطورة مع الاحوال المتجددة، فان النموذج الشرعي الاول الذي يتضمن جملة الاحكام

(12) يوسف القرضاوي، عوامل المرونة والسعة في الشريعة الاسلامية، لقاء بتاريخ 2001/1/14، على الموقع الالكتروني www.aljazeera.nel .

(13) احمد بن محمد الشامي، الاجتهاد ودوره في التجديد، في مجموعة مقالات، مصدر سبق ذكره ص 368.=

(14) علي المؤمن ، مصدر سبق ذكره، 25

الاصلية، يظل بهيأته الاولى واحداً، خالداً، محفوظاً، ويظل مصدره قياسياً يرجع اليه المسلمون فيبنوا عدة صور تطبيقية في كل اطار متبدل ليدركوا المغزى الكامن وراء شكله.[15]

ويبدو انه هذا الراي ياتي لتبرير مخاوف البعض من انفلات مفهوم المرونة، فيحذر تسخيري مثلا من ان تعني مرونة الشريعة التنازل المبدئي أو يسميه (الميوعة التنظيمية) لان كل منها يتنافر مع عقائدية المبدأ المرن وواقعيته، العملية، ذلك ان العقائدية والواقعية توجبان ثبات الاسس العقائدية والمفاهيم التصورية وثبات النظم والبناء العلوي الذي يقوم على اساس ذلك التصور الرصين.[16]

ويرى باحث اخر ان التجديد ليس حركة نظرية بحته لاتتحمل مسؤولية التغيير العملي، وليس فذلكة ثقافية نخبوية تترك شخصية المسلم متارجحة بين التمسك اللاواعي بالجذور والموروث، وبين تلقي الطاريء والوافد بروح الانفعال والتاثر، لان هذا النوع من التجديد يوقع في فخ الازدواجية المدمرة، تتجسد في نمطين وشخصين تحت سقف واحـد، مما يدخل الامـة في التيه بين المنطلقات والاهداف وآلية التطوير.[17]

ان تلك المخاوف لاتقف حائلاً امام حركة التجديد لكون التشريع الاسلامي يتسع لكل مستجدات العصر ولايقف منغلقاً امام ما يستجد من حوادث واحكام مما يؤكد ان هذا التشريع يصلح لكل زمان ومكان.

ثالثـــاً: تحقيـق الحضـور الحضـــاري للامـة الاسـلامية

يعد مفهوم الحضارة لفظ محايد، يختلف بأختلاف نموذج حضور مكوناته، ولذلك فأن هذا المفهوم يعطي كل تجربه خصوصيتها وتميزها ومذاقها الخاص، ولايعلي احداها على الاخرى الا طبقاً لما تقدمه من نموذج. فالحضارة ارث الانسان المادي والمعنوي الذي خلفه في الماضي والذي اعتمد عليه الانسان لاكمال مسيرة حياته وتقدمه الحالي سواء اكانت مظاهر معنوية كأسلوب الحياة، والمعيشة اليومية، والعلوم، والمعارف، او ادوات ووسائل مادية بقيت

(15) حسن الترابي، مصدر سبق ذكره 25

(16) محمد علي التسخيري، التجديد في الفكر الاسلامي وعنصر المرونة، مجلة افاق الحضارة الاسلامية//:http uofislam.net/uofislam//view.php?type=c_book&id=2437.

(17) سعود المولى: التجديد والاجتهاد في لافكر الشيعي المعاصر، http:// saoudelmawla.blogspot.com تم الوصول 2/4/2021.

اثراً لوجوده، وتشهد الحضارة، بمظاهرها المادية والمعنوية، فترات ترقي وسيادة وانتشار، مثلما قد تعاني الهدم والاندثار، وتتفاوت الحضارات في الاستجابة لعوامل الهدم، فالحضارة التي تنطلق من منطلقات سليمة وبنيان داخلي قوي وتكيف نفسها مع الظروف المحيطة، وتحاول ان تتعامل مع المتغيرات تعاملاً ايجابياً، تقوى عندها الحصانة ولا تركن للضعف و النخر بسرعة.

وهذا القانون في ترقي اي حضارة أو ضعفها لاشك ينطبق على الحضارة الاسلامية بشقيها المادي والفكري، وقدر تعلق الامر بالجانب الفكري، فان الفكر الاسلامي قد شهد نكوصاً حضارياً فكرياً بعد عصر الاصلاح في القرن التاسع عشر واتجه الى اطلاقية تقارب حدود القداسة ينسبها الى نفسه بطريقة غير مباشرة، وتم التحول من مطلب النهضة والاصلاح الى مطلب الثورة، من الجامعة الاسلامية الى الجماعة الاسلامية ومن الاصلاح الى التكفير والهجرة. بينما يعيش العالم عصراً انفتاحياً جديداً استطاع اختراق الكثير من مجاهل الواقع والفكر.

وعليه استدعى ذلك مواكبة المسلمين لهذا التطور ومواجهة قضايا الواقع ومفاهيمه واساليبه بالمستوى الذي يمتلك فيه الانفتاح على الحوار مع الاخرين في كل القضايا المشتركة حتى يدخل الاسلام ((دخول الفاتح الذي يفتح العقول والقلوب والساحات السياسية والثقافية باسلوبه ومنهجه وغزارة مضمونة)) [18]

ان تحقيق هذا الحضور الاسلامي في الحضارة الانسانية يستدعي مراجعة منظوماته الفكرية واعتماد التجديد منهجا لمواكبه الاحداث المتسارعة التي تلقي بظلالها على العالم الاسلامي، ولذلك يؤكد (طه جابر العلواني) على ان الحضور مرحلة متقدمة في تجربة اي مجتمع، لان كثيراً من المجتمعات الانسانية تقتصر على مجرد الوجود دون الحضور مؤكداً ان تنافس الحضارات امر منطقي تفرضه طبيعة الوجود البشري ومعطياته لاسيما وان الاختلاف سنة كونية.[19]

هذا الدافع للتجديد يطلق عليه (حيدر حب الله) مصطلح (اعادة

(18) محمد حسين فضل الله، الاصالة والتجديد، محلة المنهاج، العدد 2، السنة الاولى، 1996، ص73.

(19) طه جابر العلواني، التحديات التي تواجه هيمنة القرأن على التراث، مؤسسة مؤمنون بلا حدود 2015 www.mominoan.com . تم الوصول 26/5/2021

التموضع) لحضارة الامة الاسلامية، ويستدعي نقداً للفكر والواقع الذي ادى الى تدهور حال المسلمين حضارياً وخسارتهم التفوق الحضاري وهو السبيل الوحيد الذي يعطي كل شيء حقه.[20]

(20) حيدر حب الله، مصدر سبق ذكره 392 .

لقد شهد الفكر الاسلامي المعاصر محاولات جادة وعديدة لتدارك النكوص والتراجع فقد شهدت العقود السابقة تطورا في العمل الفكري والارتقاء به بسبب عمق المشكلات التي تعيشها المجتمعات الاسلامية وتصاعد الدعوات التجديدية المطالبة بأستمرار العمل الاصلاحي والخروج من منطقة الذرائعي والدفاعي الى منطق الدرس والتحليل والنقد تحقيقاً لحوار الاجيال واستمرارها دون قطيعة.

ولم يشهد العمل التجديدي توسع على المستوى الكمي فقط من خلال الكتب الكثيرة والمتنوعة التي تناولت التجديد وعقد المؤتمرات والندوات ذات الطابع الاسلامي لمناقشة ابعاد التجديد والاصلاح، فحسب بل ان نوع النتاجات الاسلامية في هذا الحقل قد شهدت هي الاخرى تطورا ملموساً، فالمنهجيات والافكار التي تطرح اليوم هدفها وضع الفكر الاسلامي بمستوى قضايا المستقبل كفلسفة الفقه وفقه الاولويات وعلم الكلام الجديد والتحول في الاجتهاد واسلمة او تأصيل العلوم الاجتماعية والانسانية وحتى التطبيقية.

ويطرح احد الباحثين ملفات فكرية عديدة يرى ضرورة وضعها في قائمة الاولويات البحثية اليوم لدى الباحثين الدينيين من اجل النهوض بالحركة الفكرية الاسلامية لتكون فكر اللحظة ووعي اللحظة، وابرز

هذه الملفات:[21]

(21) نفس المصدر ،ص 39 . http//ar.gantara.de

1. دراسة الاديان: لان الملاحظ في الاوساط الدينية وجود فقر معلوماتي عن الاديان الاخرى الامر الذي يؤدي الى اخطاء حقيقية.
2. الدراسات العقلية حول العرفان الديني ودراسة هذا الفكر تاريخياً ونقدياً وعقلانياً ومقارناً.
3. الاهتمام بالدراسات النقدية المعاصرة لاهمية الملفات التي

يفتحها اصحاب القضايا النقدية.

4. الاهتمام الفكري الجاد بموضوع العلاقات المذهبية ونشر سياسة التسامح المذهبي ومحاولة زحزحة بعض المفاهيم التي تغذي الفرقة والتكفير والتضليل واعـادة قراءتها على ضوء مكونات اجتهاد معاصر.
5. الدراسات الفقهية والاصولية المقارنة لضرورة حضور الاخر في الدراسات الدينية.

ان تلك المواضيع المهمة تستدعي توفر ظروف الامان للقائمين عليها لدفع حركة التفكير نحو الامام، لتكوين كادر ثقافي قوي يدرس العلوم الاسلامية التراثية كما يدرس المعطيات الانسانية الجديدة ويواكب احداث العالم الثقافية ليس للاطلاع العام فقط وانما من أجل التخصص في المجالات المختلفة اما المواقف المتحفظة التي تتخذها بعض الاوساط الدينية من الفكر الجديد فأنها ستقف حائلاً امام النخب المتحضرة للانطلاق والاندفاع نحو تلك المشاريع الحضارية.

رابعـــاً: الحـراك السياسـي الشعبي

ان مواكبة الحراك المجتمعي السياسي الذي تشهده العديد من الدول العربية والاسلامية، يتطلب ارادة عملية في معالجة المشكلات بحلول عميقة وجادة وذات رؤية بعيدة، فلابد للفكر الجديد ان يكون صاحب حلول، مما يعني حسم الفوضى الفكرية بتفكير منظم وهو ما يجنب الامة الاتكال على فكر من خارج المنظومة الاسلامية، او الوقوع في الفوضى الفكرية التي تكون نتاجاً لغياب الفكر البديل المنظم والقوي لاسيما وان الفكر الاسلامي يشهد خللاً بنيوياً ومفاهيمياً مما يستدعي تجديده، لان الازمة الفكرية تندرج تحتها سائر الازمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

لابد للفكر الجديد ان يكون صاحب حلول، مما يعني حسم الفوضى الفكرية بتفكير منظم

لقد استثمر التيار الاسلامي ماحدث في بعض البلدان العربية من احتجاجات وثورات اطلق عليها مصطلح (الربيع العربي) وادت الى

تغيير انظمة شمولية ومنحت افاقاً لكثير من الاسلاميين للتحول من دور المعارضة الى السلطة السياسية الامر الذي كان يتطلب وجوب الاخذ بالتجديد على مستوى الفكر لمعالجة الواقع الجديد.

ولكن الواقع قد أشر بوضوح عدم امتلاك اغلب التيارات الاسلامية لرؤية سياسية واقتصادية واجتماعية معاصرة تستطيع من خلالها مواجهة الواقع هذا فضلا عن عدم قدرتها طرح برنامج متكامل واضح المعالم يرقى الى مستوى تطبيقه على ارض الواقع.

وبدلا عن ذلك افرزت بعض التجارب لحكم الاسلاميين ولاسيما تجربة الاخـوان المسلمين في مصر بعد ثورة يناير 2011 نتائج سلبية بسبب الفكر المنغلق والطائفي والسلفي، وبهذا الصدد يرى أحد الباحثين ضرورة الخروج من حالة الانفعال مع او ضد تجربة الاسلاميين الى التدقيق فيها والبحث العميق في نقاط القوة والضعف وهي محاولة جادة مطلوبة للوصول الى نتائج ايجابية في تجربة الحكم والادارة، التي سعى لها الاسلاميون عقوداً عديدة.[22]

(22) احـمـد شـهـاب، الاسـلام السياسي وتـحـديـات الربيع العربي، تجربة الاخوان المسلمون http//gantara.de .

فالاسلاميون لم ينتجوا خطابا اسلاميا تجديديا رصينا ومتوازنا بمستوى ادارة الدولة المعاصرة، ولم يدركوا ان المسألة هي مسوولیات عميقة تتطلب توفير الادوات الحديثة والملائمة لادارتها وتحقيق مقاصدها كما تتطلب قدرة على فهم الواقع ومتطلباته، وما يوخذ على الحركات والتيارات الاسلامية انها لم تقدم مادة علمية رصينة توضح شكل النظام السياسي، ولم تقدم فكرا عميقا في شأن الدولة والحكم والادارة وتمسكت فقط بشعار ان (الاسلام هو الحل) وان اهل الشريعة اقدر على ادارة دار الاسلام.

ومما يلاحظ ان اغلب التجديدات والمواقف من القضايا العامة لاتبادر الجماعات الاسلامية للنظر فيها او التعديل عليها ومراجعتها الا بعد ان تشعر بضغط الواقع وهو الامر الذي بدا واضحا في طريقة تعاطي القيادات الاسلامية، في عدة دول مثل تونس ومصر، المتردد من مشاركة المراة السياسية، او قبولها المتاخر بالدستور الوضعي او ضبابية رؤيتها حول حقوق المواطنة واستحقاقاتها السياسية

والاجتماعية وغير ذلك.

واثر انحسار المد الاسلامي وفشل بعض تجارب الاسلاميين في الحكم، تعالت الدعوات من الجهات الرسمية والعلمية والدينية بضرورة التجديد، و تقديم الشريعة التي تسعد الناس في ضوء ضوابط ماجاء به النص الصريح، وضوابط المقاصد العليا للشريعة والضوابط الاخلاقية.

مع ذلك فان العالم الاسلامي لم يشهد تطوراً ملحوظا في موضوع التجديد، فالمؤسسات الدينية المحافظة لاتستطيع ان تقوم بالتجديد ولاترغب بالقيام به لانها تعتقد ان دورها المحافظة على الدين وفي تصورها ان اي تجديد سيمس الدين في ذاته.

خامساً: تنامي الفكر المتطرف والارهابي

شهد العالم الاسلامي في اواخر القرن التاسع عشر مسيرة اصلاحية هدفت الى تجديد الثقافة الاسلامية واصلاح الخطاب الديني وبيان خصوصياته ومزاياه الصحيحة، وعكف قادة الراي انذاك، وزعماء الاصلاح ورواد التنوير كالكواكبي ومحمد عبدة والافغاني على دراسة تخلف الثقافة الاسلامية عن ركب الحضارة الغربية واجمعت تصوراتهم الفكرية على ان العزلة الحضارية والاستغراق في تقديس الموروث، وغلق باب الاجتهاد، وانعدام الرؤيا السياسية وغياب الوعي، هي من الاسباب العميقة التي ادت الى كل مظاهر الانحطاط الاخلاقي والسياسي والاجتماعي والجمود في الفكر الديني.

واكد الفكر الاصلاحي ان التجديد الديني وتنظيم العلاقة بين المقدس والزمني شرط اساسي لتحرير العقل من سلطة الحجر والوصاية

واكد الفكر الاصلاحي ان التجديد الديني وتنظيم العلاقة بين المقدس والزمني شرط اساسي لتحرير العقل من سلطة الحجر والوصاية المفروضين عليه من قبل طبقة الاكليروس، ثم تحرير المجال السياسي من محاولات اقامة الشرعية على اساس ديني واحتكار تمثيل المقدس والتعبير عنه.

واكتسب هذا الخطاب مزايا وخصائص تمثلت في الانفتاح على منجزات العصر والمصالحة مع التقدم العلمي من خلال التاكيد

على العلم والاعتراف بسلطة المعرفة العلمية وصياغة مشروع فكري اصلاحي يهدف الى تحرير الوعي من الانحراف والتقليد والدفع به نحو الاجتهاد والتجديد والابداع.[23]

ولم يستمر هذا الخطاب الاصلاحي بل شهد نكوصاً واضحا عندما انتهى الى التقوقع والانزواء مع توسع الغزو الاوربي وسقوط الخلافة العثمانية. وشهد مطلع القرن العشرين انتهاء الحقبة الاصلاحية وغياب ملامحها النهضوية والتجديدية.

ومع انحسار الفكر الاصلاحي ظهرت حركات اسلامية جديدة كان تنظيم الاخوان المسلمين ابرزها، وفي مقابل خصائص الواقعية والانفتاح الفكري لحركة الاصـلاح وخطابها النهضوي ظهرت خصائص وملامح جديدة لتلقي بظلالها على خطاب الحركات الاسلامية ابرزها الانغلاق وخاصة امام المنظومات المعرفية الدينية والابتعاد عن الجانب العلمي.

فضلا عن الطوباوية ودعوات الثورة على كل شي حتى دون ان تتوفر الامكانات الذاتية لانجاز تلك الثورة، وتبقى ابرز سمات هذه الحركات الاقصاء والتكفير والخطاب الشمولي المتطرف، وتكمن خطورة هذا الفكر في مساعدته على ظهور تنظيمات وحركات ارهابية جهادية ادعت انتسابها الى الاسلام مقترنة بالعنف والعداء للمظاهر الحضارية والحداثوية والعقلانية ورفض الاخر. [24]

ومثل ظهور تنظيم داعش الارهابي ذروة ماوصل اليه الفكر التكفيري والاقصائي الذي طرح اراؤه المتطرفة بدعوى وجود قراءات خاصة للاسلام مستعيناً باراء فقهية تقليدية تراثية وفسر التاريخ في ضوء هذه القراءات.

لقد قدم تنظيم الدولة داعش نفسه باعتباره ممثل الاسلام الحقيقي الذي اعتنقه الجيل الاول في المسلمين وحاول انتاج منظومة فكرية تتعامل مع المفاهيم المطروحة منذ قرون باعتبارها صالحة للتطبيق على احكام المسلمين كالرقيق والجواري والخلافة والجهاد ودفع الجزية، وهي على العموم دعوات وافعال انطوت على قدر كبير من

(23) عبد الغني عماد، السلفية واشكالية الاخر بين المفاصلة والمفاضلة، مجلة المستقبل العربي، العدد 3،4، 2006، سنة 64.

(24) شحاتة صـيـام، العقل التكفيري: من التشدد الى مابعد المراجعات، (القاهرة: دار رؤية للنشر والتوزيع، 2015) سنة 158.

التطرف واستباحة دماء المسلمين بالتكفير واقامة الحدود وغيرها من الجرائم المقترنة بالقتل، واستخدم التنظيم مفردات فقهية ووظفها خارج حدودها الزمانية وخارج روح الشريعة الاسلامية بروح انتقائية تجزيئية بعيدة عن منظومة قيمها الانسانية والاخلاقية، وتبنى داعش موضوعات عديدة توضح مظاهر الاختلال في منهجه التكفيري كعقيدة الولاء والبراء والغلو في التكفير والقتل بحق المخالفين متجاوزا الحدود الشرعية.[25]

(25) طارق عبد الحافظ الزبيدي، الاخر في فكر الحركات الارهابية داعش انموذجا، مجلة اغتراب: العدد 5، 2018، ص 173.

وتجسدت خطورة التنظيم الارهابي في ادعائه الانتساب الى الاسلام، واقترانه بالعنف والارهاب والعداء للمظاهر العقلانية والحداثية فضلا عن دعوته وعمله على اقصاء المراة والتضييق على الاقليات ورفض الاخر حتى اصبح العالم يتوجس من كل ماهو اسلامي وسادت الاسلاموفوبيا في العالم.

وتجسدت خطورة التنظيم الارهابي في ادعائه الانتساب الى الاسلام، واقترانه بالعنف والارهاب والعداء للمظاهر العقلانية والحداثية

وتعرض تنظيم داعش ودولته المزعومة الى نكسة كبيرة وتم القضاء على ابرز قياداته وانصاره وساعدت العمليات العسكرية في العراق وسوريا على انحساره وافشال مخططاته، ورفضت المجتمعات العربية والاسلامية الاساليب الوحشية التي استخدمها في سبيل تحقيق اهدافه.

رغم ذلك فان خطر انبعاث هذا الفكر في اماكن اخرى بسماته المتطرفة ظل يشكل هاجسا للاوساط السياسية والثقافية والدينية على حد سواء، لذلك انطلقت دعوات مناقشة ومعالجة المباني الفكرية للتطرف وعقدت لهذا الغرض العديد من الندوات والمؤتمرات في مختلف دول المنطقة تمخضت عن توصيات عن المختصين بضرورة تجديد الفكر والخطاب الاسلامي مع ضرورة تطوير المناهج العلمية وتنقية اساليب التعليم الديني، وضرورة الجمع بين النقل والعقل، بين التراث والتجديد، مع الاستفادة من الجوانب الايجابية لمنجزات الامم الاخرى في العلوم والمعارف فيما لايتصادم مع ثوابت الدين، فضلا عن التاكيد على الاهتمام باعداد الدعاة ومنع غير المؤهلين

من الخطاب والقاء الدروس الدينية منعا لتقديم وترويج افكار متطرفة وغير صحيحة يستخدمها المتطرفون في تنفيذ جرائمهم مما يترتب عليه تقديم صورة غير صحيحة عن الاسلام وقيمه السامية.

المبحث الثاني

اشكاليات التجديد في الفكر الاسلامي

اتضح لنا في المحور الاول من البحث اهمية التجديد وحتميته ودواعيه العديدة، غير ان عملية التجديد المعاصرة لم تشهد تقدما ملحوظاً، بل ظل الخطاب الاسلامي التجديدي، خطاباً نخبوياً لايتعدى دوائر الندوات والموتمرات وبطون الكتب والابحاث.

وحتى لو شهد الواقع الاسلامي انحساراً ملحوظاً للافكار المتطرفة ودعوات العنف في الاونة الاخيرة، فان ذلك الانحسار لم يتحقق بفعل مراجعات للمباني الفكرية والاسس المعرفية التي انتجتها، وظل جوهر المشكلة يتمثل في تقديس التراث الفكري الذي يتم التعامل معه كأنه مطابق للدين، فضلا عن العزوف عن اعادة قراءة النص المقدس قراءة معاصرة تتوافق مع الوقائع والاحداث الراهنة، ولم يدرك البعض من المعنيين بالتجديد انه لايعني تبديداً للشرع بل اعادة الدين الى نقائه مع القدرة على استيعاب مستجدات العصر.

من هذه الاشكالية الواسعة، تتفرع اشكاليات متعددة يعاني منها الفكر الاسلامي وخطابه المعاصر لعل ابرزها:

اولاً: اشكـــالية المـثالية والـــواقعـــية

مازال بعض المفكرين اسيراً لمقولات الفقهاء القدامى يعيد انتاجها عند اي حدث معاصر

مازال بعض المفكرين اسيراً لمقولات الفقهاء القدامى يعيد انتاجها عند اي حدث معاصر، ويلتمس في الكتب الفقهية حلولاً لقضايا العصر الحاضر ويبقى يدور في فلك الماضي، بينما يقف في مواجهة المتغيرات السريعة وعلوم استشراف المستقبل، موقف الوجل والحذر، هذا مايمكن ملاحظته في التعاريف التي يطلقها للتجديد فهو وان يدعو للتجديد ويؤكد ضرورته، فأنه لايخرج به عن دائرة الاحياء والبعث وازالة ماعلق بالتراث الديني من اضافات

وتحريفات، بهذا الصدد يؤكد(عبدالكريم زيدان) ((ان التجديد لايعني تغيير الاسلام، وانما يعني العودة اليه بالعمل بما جاء في الكتاب والسنة والامر بمقتضاها وازالة ماعلق وما يعلق بهما مما ليس فيهما)) [26]

اما (المودودي) فانه يعرف المجدد بأنه ((كل من احيا معالم الدين بعد طمسها))[27]

والتجديد انما يكون لشئ قديم حسب القرضاوي وهو يقتضي جملة من الامور اهمها الاحتفاظ بجوهر البناء القديم والابقاء على طابعه وخصائصه وترميم ما بلي منه وتقوية ما ضعف من اركانه وادخال تحسينات عليه لا تغير من صفته ولاتبدل في طبيعته. [28]

وتصب تلك الاراء في الصور المثالية التي يعاني منها الخطاب الديني من خلال الاغراق في الصور المأمولة اكثر من الدخول في التفاصيل اليومية الواقعية والاستجابة لها، والاستغراق في الرؤى الاستراتيجية مع غياب لعقل المرحلة [29]

فيكون السعي دائما لتقديم حلول شمولية وقلما ينصب على تقديم حلول مرحلية تحاول ان تجعل من الاهداف الاستراتيجية بمثابة مؤشر البوصلة، لا بمثابة هدف يتم قصده مباشرة، ولايلتفت ايضاً الى اهمية اصلاح الانسان ونهضة المجتمع وتنقية كتب التراث من الاراء التي لاتتلاءم مع الواقع ولاتقدم رؤية تتعامل بطريقة فعالة مع الاوضاع التي تشهدها الدول الاسلامية وشعوبها، والمشاكل التي تواجهها في المشهد الراهن.

ويشخص احد الباحثين هذه الاشكالية عندما يقارن طبيعة الخطاب ووضع الخطاب المعاصر (الصحوي) كما يسميه، مع الخطاب الحديث (الاصلاحي) حيث ظل ممثلوا الخطاب الاخير متمسكين بموقفهم الفكر كدعاة الى مشروع اصلاحي مجتمعي، وكانت مطالبهم واقعية ومحكومة بمراعاة حقائق التحول الكوني انذاك والناشئ من امتداد ميلاد المدنية الغربية وامتداد نفوذها الى كل الاصقاع، ومنها البلاد العربية والاسلامية، ولانها كانت حركة

(26) عبد الكريم زيـدان، نظرية التجديد في الفكر الاسلامي، جامعة صنعاء/ كلية الاداب ، ص5.

(27) ابو الاعلى المودودي، موجز تاريخ تجديد الدين واحيائه، ترجمة محمد كاظم سباق، (بيروت دار الفكر الحديث، 1967)، ص 13.

(28) يوسف القرضاوي، الفقه الاسلامي بين الاصالة والتجديد، (الـقـاهـرة: مكتبة ؟؟ 1999)، ص31.

(29) حيدر حسب الله، التطرف المذهبي واشكاليات تجديد الفكر الديني، صحيفة الـرأي الكويتية/ الـعـدد 12278 في 2013/2/11.

واقعية فقد كانت ممكنة، اما مطالب الصحويين فظلت منذ ميلادها طوباوية غير معنية بالبحث عن الممكنات في مضمار البناء الفكري والاجتماعي وبسبب نزعتها الطوباوية حكم عليها بأن تظل مستحيلة التحقيق.[30]

(30) عبد الاله بلقزيز، الاسلام والسياسة، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2008) ص 104.

على ذلك شهد الخطاب المعاصر اتساع الخط التقليدي الذي ينطلق من مفردات الاجتهادات التاريخية واساليبها من دون دراسة التغييرات الكبيرة التي تحكم الواقع في تطور قضاياه وحاجاته ووسائله وعلاقاته، سواء من ناحية طريقة الحكم وعنوانه وادارته وتنظيمه، او من جانب التحديات الفكرية والتي تترك تأثيراتها على مختلف نواحي الحياة، بل حتى اللغة التي يتحدث بها هذا الاتجاه لا تتناسب مع مفردات لغة العصر والذهنية التي تتحرك بها وسائل التغيير ومفردات التفكير، وما يزال العلم الديني كما يمثله العديد من العلماء التقليديين محصوراً في الاحكام الشرعية بصيغتها التراثية ومفرداتها القديمة، بل ان البعض في الاوساط العلمية يفتخر بعدم مواكبة اللحظة والحياة الثقافية المعاصرة بزعم ان ثقافة اليوم هي ثقافة سطحية وآنية ويرى ضرورة الاستزادة في فهم التراث وتحليل نصوصه وهو خير من فهم كل الحراك الفكري ومنتجات الفكر في القرن الاخير برمته.[31]

(31) حيدر حب الله، مسالة المنهج ...، مصدر سبق ذكره، ص 392.

وفي مقابل تلك الرؤية، بدأ الفكر الاسلامي يشهد رؤية مغايرة للتجديد وابعاده، تؤكد على ان التجديد ليس نقيضاً لاكتمال الدين وثباته، بل هو السبيل لامتداد تأثيرات الدين الكامل وثوابته الى الميادين الجديدة والامور المستحدثة، والضمان لبقاء الاصول صالحة، وهو الضمان لبقاء الرسالة الخالدة للدين. فضلا عن ذلك فان التجديد كان دائما يطرح كاستجابة على الاسئلة التي يطرحها العصر بتعقيداته المتشابكة، فكان التجديد بمثابة اجابة طموحة تسعى للإجابة عن هذه الاسئلة من منطق المواكبة والقدرة على التجدد، الذي يعني فتح باب الابداع للإجابة على كل الاسئلة القلقة التي يطرحها التغيير،

التجديد ليس نقيضاً لاكتمال الدين وثباته، بل هو السبيل لامتداد تأثيرات الدين الكامل

ووفقاً للرؤية الثانية فان على الفكر الاسلامي ان يدرك:[32]

1. ان ما نواجهه اليوم من قضايا ليست من نوع القضايا التي واجهها الفكر القديم وتصدى لها بموضوعية معتمداً على مرتكزاته الفكرية التي كان يحافظ عليها، بل نحن امام قضايا جديدة وتحديات معاصرة تجعل التجديد امـراً حتمياً لان الانسان لا يملك تجاهل انتمائه لعصره وتأثره الفكري بما يجري حوله.
2. ان على الخطاب والفكر الاسلامي ان يعالج الواقع ومشاكله ويكون فاعلاً في تحصين الشباب المسلم من امراض الغلو والتطرف والكراهية ومجاراة امم عديدة في تجاوزها للموروث التعصبي الماضوي.
3. من مقتضيات التجديد اعتماد منهج علمي موضوعي يكشف مسار الواقع وجوهره ويميز حقائقه الموضوعية، عن اوهامه الخيالية او المؤقتة، للوصول الى بلورة معالجة مناسبة للواقع المعاصر والتنظير له.
4. الواقعية تحتم على علماء الاسلام ضرورة ادراك تفاصيل واقع الحياة المعاصرة وماتطرحه من مشاكل وحوادث اشكالية بفعل تطور العلم وتعقيد الحياة، كما يقتضي استكمالهم للمعرفة بالحياة العصرية وعلومها لتنزيل احكام الاسلام التي يجتهدون في صياغتها على الواقع في اطـار مقاصد الشريعة بغية مواكبة طبيعة التنمية والاسهام في الحياة الانسانية.

الواقعية تحتم على علماء الاسلام ضرورة ادراك تفاصيل واقع الحياة المعاصرة وماتطرحه من مشاكل وحوادث اشكالية

ثانياً: من المتصـدي للتجديد

من المعني بالتجديد؟ وماهي مواصفاته؟ وماهي مهامة؟ اسئلة اختلف المفكرون والباحثون الاسلاميون في الاجابة عليها، فكان للتيار الاصولي اجابات اختلفت بشكل او باخر عن اجوبة التيار الحداثوي أو الاصلاحي. فقد تشدد الاول في مواصفات المتصدي للتجديد ووضع لها شروطاً عديدة، بينما وسع التيار الثاني من دائرة

(32) عـصـام البشير، سمات الخطاب الاسلامي المعاصر. http//www.25yanager.ne .

المعنيين بالتجديد لتشمل فئات عديدة.

1- التيـار الاول

يبدو ان الاختلاف في تحديد مهمة المجدد كانت أحد اهم اسباب هذا الاختلاف، فاذا كان التجديد يعني استخراج الاحكام والوقائع والمستجدات، واعادة صياغة الاحكام الفقهية بلغة العصر، فان المخاطب بالاجتهاد والتجديد أهله، وهم العلماء دون العامة.[33]

(33) علي ابو البصل، مصدر سبق ذكره، ص182.

اذ ان عملية التجديد التي تهدف الى تطبيق الشريعة في الواقع الجديد، تتطلب فقيهاً، مفكراً، مثقفاً على مستوى عالي من التخصص ليكون قادراً على القيام بثلاث عمليات متوالية[34]

(34) علي المؤمن، مصدر سبق ذكره، ص28.

1. فهم الاصول فهماً صحيحاً مما يستدعي معرفة واحاطة بعلوم الشريعة كافة.
2. فهم الواقع فهماً صحيحاً والاحاطة بحقائقه ونظمه وحاجاته، ويستدعي ذلك معرفة تفصيلية بالافكار السائدة وتطورات العصر، ومتابعة الاحـداث، والوقائع على مختلف الصعد العلمية، والثقافية، والسياسية، والاقتصادية وغيرها.
3. استنباط الاحكام والمعارف والنظريات، ثم اخضاع حقائق الزمان ونظمه وحاجاته لها، تحقيقاً لمقاصد الشريعة.

يعني ذلك ان الاختلاف في مجمل قضايا الفكر الاسلامي أو التغيير في مفاهيمها أو تجديدها، تبقى مجالات تخصصية لها اصحابها الذين وصفهم القرآن الكريم بأهل الذكر وأمر بالرجوع لهم استناداً الى قوله تعالى (فَاسْأَلُوا أَهْـلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)[35] وهؤلاء هم المتخصصون بالشريعة عقيدة وفقها فالتجديد يقوم به أهل الاختصاص فقط وهو مطلب شرعي وعقلي، وشانهم شأن كل الاختصاصات الاخرى، فان اصحاب الاختصاص في التجديد الاسلامي لهم مواصفات محددة، اهمها التخصص الذي يعني القابلية على الاستنباط في مصادر التشريع، وعلى محاكمة الفكر وتمحيصه.[36]

(35) سورة النمل، الاية 43.

التجديد يقوم به أهل الاختصاص فقط وهو مطلب شرعي وعقلي، وشانهم شأن كل الاختصاصات الاخرى

(36) تسخيري، مصدر سبق ذكره.

إن القول بكون التجديد مطلباً شرعياً وعقلياً. يستوجب ان يكون

المجدد (مجتهداً ومفكراً) مستوعباً لعلوم القرآن تماماً، وفهم الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، واسباب النزول، فضلاً عن علوم الحديث، والرجال، وعلوم اللغة العربية، وعلم الكلام وعلم العقيدة، وعلم الفقه وقواعده، وعلم الاصول وقواعده، وهي علوم عميقة ودقيقة. وهذه الاحاطة والدراية والكفاءة هي الكفيلة بمنع المجدد من الزلل والزيغ.[37]

(37) علي المؤمن، مصدر سبق ذكره، ص34.

ويرى أحد الباحثين بان سعي المفكر الاسلامي لتأسيس نظرية اسلامية أصلية أو تطويرها، تحتم عليه التمتع بجميع خصائص وسمات التخصص في الفكر والتشريع الاسلاميين، وفي الرؤى الاخرى حولها، وفي المنهج العلمي، واساليب الاستنباط، فضلاً عن الاصالة في التفكير والقدرة الفائقة على النقد والمحاكمة ليكون الناتج اسلامياً.[38]

(38) محمد مهدي شمس الدين، مصدر سبق ذكره، ص256.

ويحذر (محمد مهدي شمس الدين) ممن يسميهم دخلاء على الاستنباط الفكري وأدعياء لا يمتلكون القدرة العلمية المناسبة لانهم سيقعون، في حال تصديهم للتجديد، في التخبط، وتتعرض الشريعة لخطر الانتهاك والتزوير والتحريف، ويتعاظم خطر هؤلاء حين يتعاطون الاستنباط الفقهي بشعار التجديد ومسايرة العصر مدفوعين بالرغبة وذيوع الصيت، ويضيف بان التجديد في الاجتهاد والاستنباط يجب أن ينطلق من المنهج الملائم للشريعة واعتماد هذا المنهج يتولاه المجتهدون المؤهلون لذلك.[39]

ان التجديد في الاجتهاد والاستنباط يجب أن ينطلق من المنهج الملائم للشريعة واعتماد هذا المنهج يتولاه المجتهدون المؤهلون لذلك

(39) صدر الدين القبانجي، الاصالة والمعاصرة في نظرية اهل البيت، في: مجموعة مقالات، مصدر سبق ذكره، ص205.

ويأتي هذا الرأي في اطار الرفض للتشكيك بكل المعارف والتصورات الاسلامية، وحذف قائمة الثوابت والضروريات، وحتى لو اعتبرت كل المعارف نسبيه فان فتح باب البحث والحوار في كل التراث الاسلامي لا يعني ان لايكون هناك قيم على هذا الفكر ((هذا القيم أهل الاختصاص الذين يحق لهم وحدهم تقديم الرؤى والاجتهادات)).

ولان مهمة التجديد بالغة الخطورة والعمق وتشترط الاجتهاد والفقهاءة، فقد طرحت في العقود الاخيرة اراء تدعوا الى ماسسة التجديد فليس بامكان فقيه واحد أو مفكر واحد أو اثنين التصدي لها، فهي مهمة شاقة تستدعي تضافر جهود كبيرة ومنظمة لانجازها على النمو المطلوب، وذلك باعتماد آليتين:[40] تتمثل اولاهما بالاجتهاد الجماعي عن طريق تشكيل لجان اجتهادية من مجموعة من المفكرين المجتهدين لبحث موضوع أو جملة مواضيع لتتكامل رؤاهم بعد التداول والمناقشة للخروج بحكم شرعي أو نظرية أو نظام اسلامي في مجال معين، وتتمثل الثانية بالتكامل بين المفكرين المجتهدين واصحاب الاختصاصات العلمية والمهنية الاخرى من خلال استشارة المجتهدين لهؤلاء في الموضوعات الجديدة، والاستعانة بهم في فهم العلوم والمناهج الجديدة وقضايا الواقع المتنوعة والمعقدة وفي تحديد مصالح الامة والدولة.

(40) تسخيري، مصدر سبق ذكره.

ويبدو ان تلك الاراء ادركت عمق التطورات العلمية والتقدم في كل مجالات الحياة بفعل التواصل العالمي والتكنولوجيا الحديثة، لاسيما واذ هذا التنوع للمجتهدين والمفكرين يؤدي – بحسب فضل الله – الى التكامل في الافكار والمناهج والاساليب بحيث تنطلق الحركة التجديدية للكتاب والمعالجة والمنهج من مواقع متعددة تجمع الجهات المختلفة لتضعها في برنامج واحد. كما ياتي في اطار الادراك لطبيعة الواقع الذي لايزال يخضع للفرد في حركته ولايزال مملوكاً للجو السائد الذي قد يفرض مفاهيمه وتصوراته بالقوة مما يؤدي بالمفكرين الى ((الانكماش ومواجهة المؤقت بطريقة التقية لانهم يخافون من ضغط الغوغاء العلمية كما يخافون الغوغاء الشعبية)) [41]

(41) محمد حسين فضل الله، مصدر سبق ذكره، ص71.

2- التيــار الثاني:

ينبري مجموعة من المثقفين الدينين او المتنورين بابداء استعدادهم التحرك في مواجهة قوى الظلام والانحراف لانهم – على حد تعبير (سروش)- يعيشون هاجس الدين من جهة، ومن

جهة اخرى يعيشون الحركة الاصلاحية في واقع المجتمع الديني، والايمان والدين بالنسبة لهم ليس قبل الايمان المصلحي لدى العوام الذي يتميز بالجبرية والقراءة الاسطورية للدين، بل انه تدين من موقع المعرفة والاختيار والاستدلال والتعددية والعمق.[42]

(42) عبد الكريم سروش، المثقف الديني والتراث، في: مجموعة من المفكرين، الفكر الديني وتحديات الحداثة، ترجمة احمد القبانجي، (بيروت: مؤسسة النتشار العربي، 2009)، ص162.

مع ذلك فان المثقف الديني ينبغي ان يملك رؤية فقهية كاملة، وتكون له نظريات فقهية ودينية في مجالات الحياة، وان مستويات هذا الامر قد توفرت حالياً عندما بدأ المثقفون الدينيون ((يبتعدون تدريجياً عن المؤسسة الدينية ورجال الدين التقليديين ويحققون لانفسهم استقلالاً في وعيهم الفقهي والديني)) [43] .

المثقف الديني ينبغي ان يملك رؤية فقهية كاملة، وتكون له نظريات فقهية ودينية في مجالات الحياة

(43) نفس المصدر، ص172.

وبذلك فان أحد اهداف القراءة الاصلاحية هو التشكيك في دعوى رجال الدين الانفراد بالحق في الاجتهاد وتفسير النص الديني من خلال التباين بين نموذج الاجتهاد السائد في المؤسسة الدينية والواقع الحياتي المعاش نظراً الى ثلاثة عوامل هي: [44]

(44) عماد الهلالي، الفكر العلماني في ايران الاسلامية، (بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، 2012)، ص68.

- ان هذا النموذج يستبطن بالضرورة احتكار السياسة واستبعاد لدور الشعب
- انه يستبطن تبريراً لقمع اصحاب الافكار المخالفة
- انه يفتقر الى التأسيس العلمي السليم.

هذه العوامل الثلاثة تأتي في اطار التاكيد على دور المفكرين في تطوير الفكر الديني والحياة الاجتماعية وعلى حاجة رجال الدين الروحانيين الى المفكرين اكثر من أي وقت معنى لانهم اندمجوا في السياسة واصبحوا اكثر عرضة للخطأ بينما يبقى المثقف ملتزم بقضايا الامة ويبقى ناقداً متحرراً.

ورغم الاعتراضات على قيام المثقف غير المختص بالاستنتاج والاستنباط، فان البعض يذهب برأيه الى مكان أبعد عندما يوسع مجال التطلع والتجديد ليشمل علماء الدين اولاً، القادرين على القول في الدين عن معرفة كافية وضرورية، ويشمل ثانياً النخب المسلمة الاخرى المتشبعة بقيم الحرية والحداثة والقادرة على الوقوع

في الشرع الاسلامي على معاني العقل والحوار والعلم والمسؤولية وتكريم الانسان، فضلاً عن ذلك تتسع دائرة شرعية التطلع للتجديد لتقبل في صفوفها كل من كان مؤمناً بالدين الاسلامي (اركانه وثوابته) متشرباً للقاعدة الاصولية الجامعة التي تقضي بان شرع الله يتحقق عندما تكون مصلحة العباد، شريطة ان يمتلك الاداة المعرفية الضرورية لفهم القاعدة المذكورة والوقوع على دلالاتها الحقة.[45]

(45) سعيدبن سعيد، مصدر سبق ذكره، ص71.

وبكل الاحوال يبدو ان المعارف الدينية لم يعد حالها كالماضي من خصوصيات رجال الدين، بل صار يشاركهم فيه فريق من المهتمين من المثقفين والباحثين، والنتاج المعرفي عندما يراد له ان ينمو ويتفاعل فلا بد ان تتناوله كل الاراء بالرد والقبول أما قمع الاراء وتغييب الاخر واحتكار المعرفة والعلم فهي لاشك من الاخطاء العلمية، وعلى المعنيين بالشأن الاسلامي ان يدركوا ان تعقد الاوضاع الانسانية الحالية، في اطار التحولات العلمية العميقة والشاملة، تستدعي الماماً بها مما يحتم التعاون بين رجل الدين والمثقف والباحث في مهمة تكاملية غرضها حفظ الدين وضمان حضوره الانساني.

ان تلك الاراء والتيارات وان كانت تعكس اختلافاً ظاهرياً بتحديد المعني بالتجديد، فانها تشترك في اشتراطها ضرورة أن يتمتع بالمام كافي بامور الشريعة وبالقواعد الاصولية والفقة الاسلامي، اما الاختلاف فانه يكمن في سعة العلوم المطلوب توافرها.

ثالثاً: اشكالية المنهـج

((الفكر بلا منهج خطاب وانشاء..والمنهج بلا فكر مجرد تمرين عقلي، تدريب عملي، يحتاج الى من يتدرب عليه فكراً او سلوكاً))[46] بهذه الجمل يطرح حسن حنفي جدلية المنهج والفكر، ويأتي ذلك في اطار الدعوات المعاصرة على ضرورة اصلاح مناهج الفكر الاسلامي ليستطيع مواجهة التحديات الداخلية والخارجية.

(46) حسن حنفي، التراث والتجديد، (بيروت: مدرسة الجامعية للطباعة والنشر، 1992، ص26.

فأزمة الفكر الاسلامي تفسر بأنها نتيجة لاضطراب مصادر الفكر او اخلال طرائقه ومناهجه، مما يترتب عليه غياب الرؤية الواضحة،

وانعدام الاصالة الثقافية، والتوازن النفسي، واضطراب المفاهيم، وانهيار الانظمة والمؤسسات، الامر الذي يستدعي مراجعة الذات وتحديد مواطن الخلل واكتشاف سبب الازمة، وادراك اليات التوليد فيها واستلهام القيم الفكرية المعاصرة.

بهذا الصـدد نكون ازاء رؤيتين لتطوير المنهج في الفكر الاسـلامي:

تتمحور الرؤية الاولى على تجديد المنهج الاسلامي المعتمد بحيث يتجاوز الثنائية التقليدية في التصنيف: القديم والجديد، الاصالة والمعاصرة، وطرح مفهوم جديد لايعتمد هذه الثنائية وانما يطرح فكرة النهضة وضرورة النهوض الحضاري عن طريق تشجيع المناهج العقلية في مجال التفكير العلمي للتخلص من الجمود، والتغلب على التخلف وتنمية القيم الروحية في السلوك الانساني للتخفيف من طغيان القوة المؤدية الى المظالم الاجتماعية. [47]

وكذلك اعتماد المنهجية المقارنة بعدها حل لمعرفة الخلل الذي اصاب الفكر الاسلامي، وذلك بمقارنة هذا الفكر مع الغير بشكل منهجي، مع التأكيد على ضرورة الالتزام بمصادر المعرفة الاسلامية بحيث تلتزم قيم الوحي وغاياته وتتفاعل مع الواقع والطبائع، وتلتزم العقل المنضبط الذي يتسم بالشمولية التحليلية لمواجهة التحديات[48].

ويتناول البعض هذه القضية من خلال رصده للمناهج الاسلامية من حيث اعتمادها او اغفالها، واستناداً لذلك يجد ان ابرز وجوه القصور تجلت في العجز عن تأمل مناهج الاستنباط الفقهية تأملا نقدياً في ضوء الاليات الجديدة التي استخدمها الفقهاء، فالنهج الفقهي التقليدي في الاستنباط منهج قياسي وقد أمكن الاستمرار في العودة اليه في الية اعادة الاكتشاف والتأويل، بينما انكمشت المجالات الجديدة التي استخدم فيها منهج (مقاصدالشريعة) [49] وهو منهج جديد، بسبب ربطه بالقياس القديم رغم اختلاف طبيعتهما، فانتصر النهج القياسي وتضاءل فقه المقاصد الى ان توارى تماماً لصالح السلفية الجديدة الصاعدة التي شهدت سلاح السنة النبوية في وجه دعاة التجديد الفقهي. [50]

(47) محمد فـــاروق نبهان، دور التجديد في اغناء الفكر الاسلامي، في: مجموعة مقالات، مصدر سبق ذكره، ص 278.

(48) علي ابو البصل، مصدر سبق ذكره، ص171.

(49) يطلق مصطلح مقاصد الشريعة على الاهـداف العامة التي تسعى الشريعة الى تحقيقها في حياة الناس ومنها حفظ الدين وحفظ النفس وحفظ العقل وحفظ النسل وحفظ المال.

(50) الحسان شهيد، نظرية التجديد الاصولي: من الاشكال الى التحرير، (بيروت: مركز نماء للبحوث والـدراسـات، 2012، ص110. وكذلك: حـيـدر حب الله، مسالة المنهج، مصدر سبق ذكره، ص226.

اما الرؤية الثانية لتطوير المناهج الاسلامية فتستوحي افكارها من منتوجات ومكتسبات الهرمنيوطيقا الغربية المعاصرة وخاصة الفلسفية مثل تاريخية المتن والفهم، تدخل المسبوقات في عملية الفهم، تفكيك الافق الذهني للمفسر عن افق معنى النص، التأكيد على دور الفاصلة الزمنية بين المفسر والنص، والتدخل المتزامن للأفق الذهني للمفسر في تفسير النص، وغير ذلك. (51)

فقد القت هذه المنتوجات وبحوثها بظلالها على بحوث ودراسة المجددين المعاصرين في حقول الفكر الديني، الذين وجهوا النقد للنصوص الدينية والتفاسير الاسلامية التي تعتبر اساس التراث الديني والفكري للمسلمين، مماعد ثورة منهجية راديكالية في مجال المعرفة الدينية، لان هذه الهرمنيوطبقا المعاصرة وضعت نظرية تفسير النصوص السائدة والمقبولة في الحوزات العلمية على مشرحة النقد العلمي وحتم على الحوزات ان تتحرك على مستوى اعادة النظر في النظريات التفسيرية وتنقيحها. والشرط اللازم لتحقيق هذا الهدف هو امتلاك فهم عميق وعلمي لبحوث الهرمنيوطبقا والدراسات الاخرى كفلسفة اللغة وعلم المعاني، ويحذر أحد الباحثين من ان عدم تحقيق هذا الهدف، وإذا لم تدخل هذه البحوث والمواضيع اجواء الدراسات العلمية الدينية، فان الخطر سوف يبقى يهدد الفكر الديني وسيكون ذلك شاهداً على ضعف المنهج العلمي لعلماء الدين في تفسير النصوص الدينية. مما يؤدي الى التشكيك في مباني فهم النصوص وتضعيف المعارف الدينية. (52)

ومقابل الدعوات لدراسة المناهج الحديثة واستيعاب الدراسات الاصولية لتطورات قراءة النص الاخرى ولوكان التعاطي نقدياً في البداية (53) طرح البعض اراءاً تدعو الى التشدد في الالتزام بالمنهج الاسلامي والتقيد الصارم به، وربط القضية بالاختصاص واهل الاختصاص محذراً من محاولات بعض المثقفين الاعتماد على منهجيات غربية في دراسة النص الاسلامي وتفسيره وتأويله، فعلى سبيل المثال ينتقد(راشد الغنوشي) (54) من يسميهم بالتيار المعتدل

(51) عبد الكريم سروش، مصدر سبق ذكره ص69

(52) نفس المصدر، ص69.

(53) حيدر حب الله، مسألة المنهج، مصدر سبق ذكره ص426.

(54) راشد الغنوشي، مناهج الاصلاح الاسلامي المعاصر، 2008، https://arabi21.com/87%D%story/1262274/%D983%D8%B0%D8%A%D9%98A%D8%B4%D8%AE%D%84%D%8%B%D8%A7%D988%D%86%D9%8%BA%D98A-%D8%A3%%8%B4%D9D8%B9%D8%B7%D8%A7%84%-%D8%A%D8%A7%D98A-%88%D8%B9%D9%D9%84%D8%AF%D9%%D984%D8%%8%D8%A7%D984%D8%A5%D8%B3%D98A%D%85%D9%%A7%D986%8A%D9%92/3/2021 .تم الوصول

الذين لا تكاد نظرتهم للدين تخرج من كونه تراثاً حضارياً وثقافة شعبية وعقائد ومواعظ واخلاق تندرج ضمن خصوصيات الافراد ولا شأن لها بالدولة ولا التشريع، محذراً من ان استخدام بعض المناهج اللغوية الغربية الحديثة في تأويل النصوص، يفقد النص الديني اي سلطة مطلقة ويجعله لا يحمل غير دلالات اشارية وليست حقائق مطلقة، ويشير بهذا الصدد الى اعمال نصر حامد ابو زيد ومحمد اركون وبعض الاسلاميين الايرانيين التي تتخذ من هذا المنهج سبيلاً للحد من سلطان الشريعة ((عبر تمييع سلطان النص))، ويقارن بين طروحات اولئك ودعوات علي عبد الرزاق، بل يعدها نقلاً واحياءاً لها.

ومن دعاة هذا التيار – برأيه – ممن يعتبر الخالد في الشريعة هو مقاصدها في العدل والحرية والمساواة والتقدم وحقوق الانسان ومصالح الافراد والمجتمعات، اما الاشكال في الزواج والمواريث والطلاق والعقوبات وسائر انشطة المجتمع، فليس المقصودة لذاتها، وانما خاضعة للتحول والاصلاح وهي من قبيل الخصوصيات.

من جهته يشن (محمد رفعت الزبير) هجوماً على من يتهم منهجية العلماء القدامى بالقصور من دون ادلة، ويتهم المنهجية الجديدة بانها تريد هدم المعرفة الدينية من جذورها واستبدالها بمعرفة معاصرة وقاصرة، ويؤكد بان المعرفة واحدة لاتتجزأ، واما ما يسمى اكتشافاً جديداً للنص القرآني انما هو ((لعب اطفال يراد منه نسف المفاهيم الاساسية للقرآن تحت ذريعة التطوير والتجديد والمنهجية العلمية)) [55]

ان تلك الآراء دعت البعض الى التأكيد على ان المقصود بالتجديد ليس تجديد الدين والاسلام نفسه، بل هو تجديد واحياء للتفكير في قضايا وامور الدين، والتفكير دائماً في التجدد لان الوسيلة البارزة في تشخيص الاختلاف في فهم وتطبيقات، وان هذا الاختلاف في فهم الادلة والبراهين يضفي على المنهج الاسلامي تجديداً يواكب تطورات الحياة والمستجدات منهج في جميع الجوانب الشخصية الانسانية. [56]

(55)مناقشة لكتاب العالمية الاسلامية الثانية على الموقع الالكتروني https://atharah..com/book-review-second-international-islamic/ تم الوصول 12/3/2021

(56) شهاب الدين الحسيني، الاجتهاد والتجديد في المنهج الاسلامي، في مجموعة من المقالات، الجزء الاول، مصدر سبق ذكره ص255.

مما يعني ان المنهج الاسلامي منهج ثابت في اصوله متغير في فروعه وجزئيته وتطبيقاته العلمية وهو منهج متجدد ويتطور في كل عصر.

ان اشكال المنهج – برأي الباحث – تعد من اهم الاشكاليات التي يواجهها الفكر الاسلامي، وذلك نظراً للنتائج المترتبة على كل منهج يعتمد في قراءة النصوص والتراث، فاذا كانت المناهج التقليدية تؤدي الى الجمود وعدم مواكبة العصر، فان المناهج المعاصرة ولاسيما الغربية منها والدعوة الى اعتمادها من قبل العديد من المفكرين الحداثويين، تترتب عليها معالجة مغايرة للنص الديني الامر الذي يثير حفيظة المدارس الدينية وعلماؤها.

الخـــاتمة والاستـــنتاجـات

ان دراسة دواعي التجديد في الفكر الديني واشكالياته تعد من المواضيع المهمة التي حظيت باهمية كبيرة في الاونة الاخيرة نظرا لارتباطها بالهوية الاسلامية وركائزها، وفي الوقت الذي يتفق فيه المعنيون بالشأن الاسلامي على التجديد وضرورته، فان هذا الاتفاق سرعان مايتشتت بفعل الاشكاليات الكثيرة والمعقدة التي تعترض التجديد حيث ينقسم اولئك المعنيون الى تيارات عديدة المحافظة، والتقليدية، والاسلامية، والحداثوية وينطلق كل تيار من قناعات فكرية مختلفة تنعكس على طبيعة رؤيته لابعاد التجديد ومفهومه وحدوده.

على ضوء ذلك وما تم بحثه في الدراسة تم التوصل الى بعض الاستنتاجات والتوصيات التي يمكن ان تصب في خدمة مسيرة التجديد في الفكر الاسلامي والخطاب المتمخض عنه:-

- يحضى التجديد بأهمية بالغة لاسباب عديدة يأتي في مقدمتها تنامي ظاهرة الارهاب وانتشار خطاب التطرف والكراهية وعدم قبول الاخر ، اذ يعد التجديد وسيلة فاعلة لمواجهة تلك الظواهر

وتداعياتها لا سيما دورة الفاعل في مراجعة البنى الفكرية التي يعتمدها المتطرفون لتبرير اعمالهم وترويج افكارهم

- لقد اصبح التجديد ضرورة حتمية يستدعيه الواقع المتغير والحوادث المستجدة وسرعة التطور التي يشهدها العالم، والتي تفرض تجاوز حالة الانحسار والتراجع في الفكر، نحو التجديد والاجتهاد.
- ان التجديد اداة التواصل بين الفكر والمجتمع لكي يكون الفكر فاعلا ومؤثرا في حركة المجتمع، وان هذا المنهج التجديدي يعمق الصلة بالموروث الثقافي ويجعله متجددا من خلال مساهمات الاجيال الثقافية.
- اذا كان التراث معين الهوية التاريخية والاجتماعية للامم، فان ذلك لايعني التسليم التام للتراث لانه شأن ونتاج بشري متاثر بالظروف الاجتماعية والتاريخية، وهو عرضة للتغيير وليس مقدسا او خالدا، ومثلما كان للفقهاء والمفكرون السابقون جهودهم في قراءة النصوص وتفسيرها والاجتهاد فيها، فلا بد، ان تكون للاجيال الحالية والقادمة مساهماتهم في هذا الشان.
- التأكيد على ان التجديد لايمثل خطرا على الدين، فالاجتهاد لاينال النص بل الفكر الانساني الذي تعامل معه ويعني اعادة الدين الى نقائه مع القدرة على استيعاب مستجدات العصر.
- لابد للمعنيين بالشأن الاسلامي، وللتيارات الفكرية المختلفة تقليدية كانت ام حداثوية، ان تبحث عن مشتركات للانطلاق منها لوضع ستراتيجية تجديدية بدلا من تشبث كل طريق بارائه وطروحاته.
- تطوير فكرة الماسسة لتوسيع دائرة الافكار والاراء المطروحة وتبادل الاراء بين المعنيين والمهتمين بالشان الاسلامي، للخروج بقرارت وفتاوي ونتائج متفق عليها تعالج القضايا المعاصرة

وتجد الحلول والاجابات لاسئلتها.

- توسيع دائرة المشتغلين على موضوع التجديد لتشمل اضافة الى الفقهاء والمجتهدين، المثقفين الدينيين، والباحثين وغيرهم ممن يملك الدراية المطلوبة بالامور الدينية وادوات المعرفة الاسلامية، الامر الذي يسمح بالاطلاع على مختلف الاراء والتطورات والاستفادة منها.